الاتجاه العقدي
عند محمد الطاهر بن عاشور

د. مريم محمد إبراهيم الرقيق(*)

لم يفرد ابن عاشور(١) العقيدة الإسلامية بمؤلف يتناولها فيه بالشرح والتحليل والبيان ، وإنما تعرف آراؤه العقدية من خلال تفسيره التحرير والتنوير فهو منبع ثري لدراسة العقائد بأصنافها ، وجعل منه مجال رحب لنصرة عقيدته .

مذهبه الفقهي :

لقد سار ابن عاشور على طريقة أهل بلده فاتبع مذهب مالك لأنه هو المنتشر في الأوساط الرسمية والشعبية في المغرب من العالم الإسلامي ، وقد

(*) عضو هيئة تدريس بقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية - كلية التربية / جامعة الزاوية – ليبيا

١ – هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن محمد بن محمد الشاذلي بن عبدالقدر بن محمد بن عاشور ولد في جمادي الأولى (١٢٩٦هـ/١٨٧٩م) بتونس ، له العديد من المؤلفات منها تفسير التحرير والتنوير ، وكشف المغطى في المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ ، والنظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح ومقاصد الشريعة الاسلامية ، التحق بجوار به سنة (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) . ينظر : تراجم التونسيين ، محمد محفوظ ، بيروت دار الغرب الإسلامي ، ط١ ، ١٩٨٤م:٤٠٣/٣ ، ومعجم المفسرين من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر ، عادل نويهض ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ، ط١ ، ١٩٨٤م : ٥٤١/٢.

تبحر في فروعه حتى أصبح قاضيا مالكيا للجماعة سنة (١٣٣١هـ/١٩١٣م) وبقي كذلك عشر سنوات ، ثم عين سنة (١٣٤١هـ/١٩٢٣م) مفتيا مالكيا ، وفي سنة (١٣٤٢هـ/١٩٢٤م) عين مفتيا ثانيا ومكلفا بالقيام بخطة " باش مفتي " ، وفي سنة (١٣٤٥هـ/١٩٢٧) أصبح كبير أهل الشورى المالكية ، وهو أعلى منصب يتولاه السادة المالكية قبل إحداث مشيخة الإسلام المالكية ، وفي سنة (١٣٥١هـ/١٩٣٢م) سمي شيخ الإسلام المالكي ، وهو أول من تولى هذا المنصب من المالكية [٢] .

ومع ذلك لم يكن متعصبا ومقتصرا على مذهب مالك بل كان يهتم بإيراد أقوال العلماء ، وينظر في أدلتهم ،وترجيح مايراه موافقا للدليل ، وإن خالف مذهب مالك ، مع ذكره لكثير من آراء الصحابة والتابعين في أثناء عرضه لاختلاف الأئمة ، وقد ذم ابن عاشور التعصب المذهبي وجعله السبب الأول من أسباب تأخر علم الفقه فيقول :

" التعصب للمذاهب والعكوف على كلام إمام المذهب واستنباط الحكم منه بالالتزام أو نحوه ، فتلقّى أتباع الأئمة مذاهبهم برهبة منعتهم النظر في الفقه ، بل صار قصاراهم نقل الفروع وجمع الغرائب المخالفة للقياس ونقل الخلاف ، وأبو التراجع ورفع الخلاف الذي هو الغرض من التفقه ، وعوضوا ذلك

---

٢ – ينظر : الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (١٨٧٩-١٩٨٣م) ، علي الشنوفي ، حوليات الجامعة التونسية ، ع ١٠ ، ١٩٧٣م : ص٥-٩ ، التفسير والمقاصد عند الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، الصبحي بن مسعود العتيق ، تونس ، دار السنابل للثقافة والعلوم ، ط١ ، ١٩٨٩م : ص١٤-١٥ ، نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر ابن عاشور ، إسماعيل الحسني ، الولايات المتحدة الأمريكية ، فيرجينيا ، المعهد العالي للفكر الإسلامي ، ط١ ، ١٩٩٥م : ص٩٠-٩٧.

بالانتصار للمذاهب لا يلوون على غير ذلك مع تصريح الأئمة بأن لا يوافقهم أحد إلا بعد عرض مذاهبهم على الأصول "[٣] .

ومن الشواهد على ذلك قوله بطهارة جلد الميتة بالدبغ وجواز استعماله خلافا لمذهب مالك رحمه الله ، عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِنَّماَ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ والدَّمَ ولَحْمَ الْخِنزِيرِ ومَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاَغٍ وَلاَعَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٤] : " اختلف الفقهاء في الانتفاع بجلد الميتة إذا دُبغ فقال أحمد بن حنبل : لايطهر جلد الميتة بالدبغ ، وقال أبو حنيفة والشافعي: يطهر بالدبغ ماعدا جلد الخنزير، لأنه محرم العين...، وقال مالك : يطهر ظاهر الجلد بالدبغ لأنه يصير صلبا لا يداخله مايجاوره ، وأما باطنه فلا يطهر بالدبغ ، ولذلك قال : يجوز استعمال جلد الميتة المدبوغ في غير وضع الماء فيه ، ومنع أن يصلي به أو عليه "[٥] .

ويضيف : " وقول أبي حنيفة أرجح للحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى شاة ميتة كانت لميمونة فقال : (هلاَّ أخذتم إهابها فدبغتموه فانتفعتم به)[٦] ، ولما جاء في الحديث الآخر من قوله (أيُّما إهاب دُبغ فقد

---

٣ – أليس الصبح بقريب ، التعليم العربي الاسلامي دراسة تاريخية وآراء إصلاحية ، محمد الطاهر ابن عاشور ، ط٢ ، ١٩٨٨م : ص١٩٨.

٤ – البقرة : ١٧٢.

٥ – التحرير والتنوير ، محمد الطاهر ابن عاشور ، تونس ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤م : ١١٦/٢.

٦ – أخرجه مسلم في صحيحه ، أبوالحسين مسلم بن الحجاج القشيري ، في كتاب الحيض – باب طهارة جلود الميتة بالدباغ (حديث رقم ٣٦٣) ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، المكتبة الاسلامية ، تركيا: ٢٧٦/١ .

طَهُر)[7] ، ويظهر أن هذين الخبرين لم يبلغا مبلغ الصحة عند مالك ولكن صحتهما ثبتت عند غيره "[8] .

وفي ذم التعصب المذهبي عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَٰتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ ءَامَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِى مَنْ يَّشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[9] ، يقول : " الآية تقتضي تحذير المسلمين من الوقوع فيما وقعت فيه الأمم السابقة من الاختلاف في الدين أي في أصول الإسلام ، فالخلاف الحاصل بين علماء الإسلام ليس اختلافا في أصول الشريعة ، فإنها اجماعية وقد أجمعوا على أنهم يريدون تحقيقها ، .... واتفقوا في أكثر الفروع ، وإنما اختلفوا في تعيين كيفية الوصول إلى مقصد الشارع ... فاختلاف الحاصل بين علمائنا اختلاف جليل المقدار موسع للأنظار . أما لو جاء أتباعهم فانتصروا لآرائهم مع تحقق ضعف المدرك أو خطئه لقصد ترويج المذهب وإسقاط رأي الغير ، فذلك يشبه الاختلاف الذي شنعه الله تعالى وحذرنا منه فكونوا من مثله على حذر "[10] .

٧ – أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الحيض – باب طهارة جلود الميتة بالدباغ ، بلفظ (إذا دُبغ الإهاب فقد طهر) (حديث رقم ٣٦٦) : ٢٧٧/١ .

٨ – التحرير والتنوير : ١١٦/٢ .

٩ – البقرة : ٢١١.

١٠ – التحرير والتنوير : ٣١١/٢.

عقيـــدتـــه :

يعد ابن عاشور في عقيدته سني أشعري[11] وإن يتسامح في بعض الأحيان مع عبارات المعتزلة ، وهو من الأشاعرة المنافحين عن الأشعرية في تفسيره ، وذلك يرجع لتأثره ببعض مشايخه الأشاعرة مثل الشيخ محمد النجار . وتتجلى أشعريته جليا في أمرين :

الأول : تصريحه بالانتساب لمذهب الأشاعرة .

الثاني : تقريره لمذهب الأشاعرة وترجيح رأيهم عند عرض المذاهب في المسألة ، والرد على خصومهم أثناء التفسير .

فمن الشواهد الدالة على الأمر الأول قوله عند تفسير معنى كلمة واتبعوا في قوله تعالى : ﴿ وَاتَّبَعُواْ مَاتَتْلُواْ الشَّيَطِينَ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَنَ وَمَاكَفَر ولَكِنَّ الشَّيَطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ [12] ، " والإتباع في الأصل هو المشي وراء الغير ويكون مجازًا في العمل بقول الغير وبرأيه في الاعتقاد باعتقاد الغير

---

[11] – نسبة لأبي الحسن ، علي بن إسماعيل بن أبي بشر بن إسحاق بن سالم الأشعري اليماني البصري إمام المتكلمين ، كان معتزليا ثم رجع عن مذهب الاعتزال وسلك طريقة ابن كلاب ، ومال إلى أهل السنة والحديث وانتسب إلى الإمام أحمد ، كما ذكر ذلك في كتبه كالابانة والموجز ، وكان مختلطا بأهل السنة كاختلاط المتكلم بهم توفي سنة (٣٢٤هـ) . ينظر : تاريخ بغداد ، الحافظ أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، بيروت ، دار الكتاب العربي :١١/٣٤٦ ، وينظر : سير أعلام النبلاء ، محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق جماعة من العلماء بإشراف شعيب الأرنؤوط ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط٧ : ١٥/٨٥ .

[12] – البقرة : ١٠١.

تقول : " أتبع مذهب مالك ، وأتبع عقيدة الأشعري "[١٣] ، فهو يعبر عن اختياره المذهبي .

وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَوَتِ والْأَرْضِ قُلِ اللهُ وإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَلٍ مُّبِينٍ ﴾[١٤] ، يقول : ووصف الضلال بالمبين دون وصف الهدى بالمبين لأن حقيقة الهدى مقول عليها بالتواطئ وهو معنى قول أصحابنا الأشاعرة "[١٥] .

وفي بيان معنى ضالاً في قوله تعالى : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى ﴾[١٦] ، " وليس المراد بالضلال هنا اتباع الباطل ، فإن الأنبياء معصومون من الإشراك قبل النبوة باتفاق علمائنا ، وإنما اختلفوا في عصمتهم من نوع الذنوب الفواحش التي لا تختلف الشرائع في كونها فواحش وبقطع النظر عن التنافي بين اعتبار الفعل فاحشة وبين الخلوّ عن وجود شريعة قبل النبوءة ، فإن المحققين من أصحابنا نزهوهم عن ذلك ... ولم يختلف أصحابنا أن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لم يصدر منه ما ينافي أصول الدين قبل رسالته "[١٧] وهو بقوله هذا يقصد الأشاعرة .

ومن الشواهد الدالة على الأمر الثاني ما قاله عند بيان معنى الهداية في الآية الكريمة : ﴿ إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيم ﴾[١٨] ، " والهداية في اصطلاح الشرع حين تسند إلى الله تعالى هي الدلالة على مايرضي الله من فعل الخير

---

١٣ – التحرير والتنوير : ٦٢٨/١.

١٤ – سبأ : ٢٤.

١٥ – التحرير والتنوير : ١٩٣/٢٢ ، وينظر : ١٨٧/١٦ ، ١٩٣/٢٢.

١٦ – الضحى : ٧ .

١٧ – التحرير والتنوير : ٤٠٠/٣٠ ، .

١٨ – الفاتحة : ٥ .

ويقابلها الضلالة وهي التغرير ، واختلف علماء الكلام في اعتبار قيد الإيصال إلى الخير في حقيقة الهداية ، فالجمهور على عدم اعتباره وأنها الدلالة على طريق الوصول سواء حصل الوصول أم لم يحصل وهو قول الأشاعرة وهو قول الحق ، وذهب جماعة منهم الزمخشري إلى أن الهداية هي الدلالة مع الإيصال " [19] .

وفي بيان معنى الهدى في قوله تعالى: ﴿ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [20] ، يقول: " والهدى على التحقيق هو الدلالة التي من شأنها الإيصال إلى البغية ...، ولأن المفهوم من الهدى الدلالة الكاملة وهذا موافق للمعنى المنقول إليه الهدى في العرف الشرعي . وهو أسعد بقواعد الأشعري ؛ لأن التوفيق الذي هو الإيصال عند الأشعري من خلق الله تعالى في قلب الموفق فيناسب تفسير الهداية بما يصلح له ليكون الذي يهدي يوصل الهداية الشرعية " [21] .

وفي قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِم غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [22] ، يقول : " فالله تعالى قدر الشرور وأوجد في الناس القدرة على فعلها ولكنه نهاهم عنها لأنه أوجد في الناس القدرة على تركها أيضا ، فلا تعارض بين القدر والتكليف إذ كلٌ راجع إلى جهة خلاف ماتوهمته القدرية فنفوا القدر وهو التقدير والعلم ، وخلاف ماتوهمته المعتزلة من عدم تعلق قدرة الله بأفعال المكلفين ولاهي مخلوقة له ، وإنما

١٩ – التحرير والتنوير : ١٨٨/١.

٢٠ – البقرة : ١ .

٢١ – التحرير والتنوير :٢٢٥/١.

٢٢ – البقرة : ٦ .

المخلوق له ذواتهم وآلات أفعالهم ، ليتوسلوا بذلك إلى إنكار صحة إسناد مثل هاته الأفعال إلى الله تعالى تنزيهاً له عن إيجاد الفساد ، وتأويلِ ماورد من ذلك : على أن ذلك لم يغنِ عنهم شيئا لأنهم قائلون بعلمه تعالى بأنهم سيفعلون وهو قادر على سلب القُدَر منهم فيتركه إياهم على تلك القدرة أمهال لهم على فعل القبيح وهو قبيح ، فالتحقيق ماذهب إليه الأشاعرة وغيرهم من أهل السنة " [٢٣] .

ويضيف : " أن الله هو مقدر أفعال العباد إلا إن فعلها هو من العبد لامن الله وهو الذي أفصح عنه إمام الحرمين وأضرابُه من المحققين . ولايرد علينا أنه كيف أقدرهم على فعل المعاصي ؟ لأنه يَرد على المعتزلة أيضاً أنه كيف علِم بعد أن أقدرهم بأنهم شارعون في المعاصي ولم يسلب عنهم القدرة ؟ فكان مذهب الأشاعرة أسعد بالتحقيق وأجرى على طريق الجمع بين ماطفح به الكتاب والسنة من الأدلة " [٢٤] .

يختلف ابن عاشور مع الكثيرين في العقيدة ، فهو يتنصر لمذهبه السني في كثير من الأحيان ويدافع عنه ، ولايرى مانع من هذا الاختلاف مادام الجميع ينضوون تحت راية الإسلام . تقول إحدى الباحثات : " وهو يرى أن حرية الفكر والعقيدة مكفولة للجميع وليست حكراً على أحد دون أحد ، جعل من تفسيره مجال رحب لنصرة عقيدته وجعل منه حلبة نازل فيها المعتزلة والباطنية والخوارج وكل من اختلف معه في العقيدة ، رادا عليهم الكثير من اعتقاداتهم وآرائهم ولكن في هوادة ولين ودون أن يأخذه التعصب لمذهبه مآخذ بعيدة ، لذا كان يتسم أسلوبه الفكري بالتسامح ، فهو يتوقف لدى الآيات

٢٣ – التحرير والتنوير : ٢٥٧/١.

٢٤ – التحرير والتنوير : ٢٥٧/١ ، وينظر أيضاً : ١٣٨/٣ ، ١٦٠/٧ .

التي تثير جدلاً عقائديا ، يوضحها ويشرحها ، مبينا موقف من يتبع هذه الفرقة أو تلك في هذه المسألة ثم يبين رأيه ورأي مذهب أهل السنة من السلف والخلف "[٢٥].

ويتضح موقفه من مبدأ الخلاف النظري بين عموم المفكرين العقديين وغيرهم حيث يقول : " لا جرم أن الله تعالى جعل في خلقه العقول اختلاف الميول والأفهام ، وجعل في تفاوت الذكاء وأصالة الرأي أسبابا لاختلاف قواعد العلوم والمذاهب ، فأسباب الاختلاف إذن مركوزة في الطباع "[٢٦].

من أهم القضايا العقدية التي وقف عندها ابن عاشور طويلا قضية مفهوم الإيمان والإسلام والفرق بينهما . فالإيمان لغة : " بمعنى التصديق ، ضده التكذيب . يقال : آمن به قوم ، وكذّب به قوم "[٢٧].

ذكر ابن عاشور أن علماء الأمة اختلفوا في ماهية الإيمان وتطرقوا إلى حقيقة الإسلام وقد لخص اختلافاتهم في خمسة أقوال[٢٨]. ويرى أن : " حاصل معنى الإيمان

حصول الاعتقاد بما يجب اعتقاده ، وحاصل معنى الإسلام إظهار المرء أنه أسلم نفسه لاتباع الدين ودعوة الرسول صلى الله عليه وسلم "[٢٩] ، و "

---

٢٥ – الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه في تفسيره التحرير والتنوير ، هيا ثامر مفتاح العلي ، الدوحة – قطر ، دار الثقافة ١٩٩٤م : ص٤٦٠ .

٢٦ – التحرير والتنوير : ١١/١٣ .

٢٧ – لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور ، تحقيق نخبة من العاملين بدر المعارف ، القاهرة : ١٤١/١ ، مادة أمن .

٢٨ – التحرير والتنوير : ٢٦٦/١-٢٧٠ .

٢٩ – التحرير والتنوير : ٢٧٢/١ .

الإيمـــان عمل قلبي ، ونطق لساني "[٣٠] ، ويقول أيضاً : " والإيمـــان : أن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليـــوم الآخـــر ويـــؤمن بالقـــدر خيـــره وشره "[٣١] .

وقد بين أن التصديق لا يعتبر شرعا إلا مع الإســـلام ، ولكنـــه قصـــر الإسلام على النطق بالشهادتين فقال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُم مُسْـــلِمِينَ ﴾[٣٢] ، " الإيمـــان تصديق الرسول فيما جاء به وهو عمل قلبي ، ولا يعتبـــر شـــرعا إلا مـــع الإسلام ، والإسلام : النطق بما يدل على الإيمان ولايعتبر شـــرعا إلا مـــع الإيمان ، فالإيمان انفعال قلبي نفساني، والإسلام عمـــل جســـماني ، وهمـــا متلازمان في الاعتداد بهما في إتباع الدين إذ لايعلم حصول تصديق القلب إلا بالقول والطاعة ، وإذ لا يكون القول حقا إلا إذا وافق ما في النفس "[٣٣] .

وفي موضع آخر يقول عند تفسير قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَـــا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾[٣٤] ،: " إن الإيمان عقد القلب يحصل دفعة واحدة ، وأما الإسلام فهو الإتيان بقواعد الإسلام الخمس ، كما جاء تفسيره فـــي حـــديث سؤال جبريل "[٣٥] ،

---

٣٠ – م . ن : ٢٨١/٤ .

٣١ – م . ن :٢١/٢٢ .

٣٢ – يونس : ٨٤ .

٣٣ – التحرير والتنوير : ٢٦٢/١١.

٣٤ – الزخرف : ٦٩ .

٣٥ – التحرير والتنوير : ٢٥٤/٢٥ .

ويضيف عند تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ المُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَتِ وَالْقَنِتِينَ وَالْقَنِتَتِ ﴾ (٣٦) ، " والإسلام بالمعنى الشرعي هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت ، ولايعتبر إسلاما إلا مع الإيمان " (٣٧) ، واستدل أيضا بهذه الآية أيضا وأضاف : " فحاصل معنى الإيمان حصول الاعتقاد بما يجب اعتقاده ، وحاصل معنى الإسلام إظهار أنه أسلم نفسه لاتباع الدين ودعوة الرسول " (٣٨) .

ويرى ابن عاشور أنه لايجتمع في العبد إيمان وكفر لأن الإيمان شيء واحد لايتجزأ ولايتبعض من خلال قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَومِ الآخِرِ وَمَاهُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣٩) ، فيقول : " إن الدعوة للحق يجب أن تكون دفعة ، وإلا لكان الرضى ببقائه على جزء من الكفر ولو لحظة مع توقع إجابته للدين رضى بالكفر وهو من الكفر " (٤٠) .

وقال أيضا: " الإيمان لايقبل القلة والكثرة ، فالقليل من الإيمان عدم ، فهو كفر" (٤١) وذلك عند توضيح معنى (إِلاَّ قَلِيلاً) في قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِأَيَتِ اللهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ (٤٢) .

---

٣٦ – الأحزاب : ٣٥ .

٣٧ – التحرير والتنوير : ٢١/٢٢ .

٣٨ – التحرير والتنوير : ٢٧٢/١ .

٣٩ – البقرة : ٧ .

٤٠ – التحرير والتنوير : ٢٧٣/١ .

٤١ – م . ن : ١٨/٦ .

٤٢ – النساء : ١٥٤ .

أما الفرق بين الإيمان والإسلام ، فقد اختلف العلماء في هذه المسألة على قولين فهناك من رأى أن الإيمان والإسلام بمعنى واحد وهناك من رأى أن هناك فرق بين الإيمان والإسلام . وقد ذهب ابن عاشور إلى التفريق بينهما ففي الحديث عن قوله تعالى : ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَكِن قُولُواْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَنُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ (٤٣) ، فقال : " وإنما قال (وَلَكِن قُولُواْ أَسْلَمْنَا) تعليما لهم بالفرق بين الإيمان والإسلام فإن الإسلام مقره اللسان والأعمال البدنية ، وهي قواعد الإسلام الأربعة : الصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج الكعبة الوارد في حديث عمر عن سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة ....وأنه لا يتعد بالإسلام إلا إذا قارنه الإيمان ، فلا يغني أحدهما بدون الآخر ، فلإيمان بدون إسلام عناد ،
والإسلام بدون إيمان نفاق ، ويجمعهما طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم " (٤٤) .

وقال أيضا في بيان قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَومِ الْآخِرِ وَمَاهُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤٥) ، " ولا يدّعي أحد أن مفهوم الإيمان هو مفهوم الإسلام ، فيكابرَ لغة تتلَى عليه ، كيف وقد فسره الرسول لذلك الجالس عند ركبتيه (٤٦) " (٤٧) .

---

٤٣ – الحجرات : ١٤ .

٤٤ – التحرير والتنوير : ٢٦٤/٢٦ .

٤٥ – البقرة : ٧ .

٤٦ – يقصد جبريل عليه السلام ، عندما جاء إلى الرسول يسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان جلس إليه وأسند ركبتيه إلى ركبتيه .

٤٧ – التحرير والتنوير : ٢٧١/١.

وقوله هذا يتفق مع ما ذكره شيخ الإسلام : " إذا قيل : إن الإسلام والإيمان التام متلازمان ، لم يلزم أن يكون أحدهما هو الآخر ، كالروح والبدن ، فلا يوجد عندنا روح إلا مع البدن ، ولا يوجد بدن إلا مع الروح ، وليس أحدهما هو الآخر ، فالإيمان كالروح ، فإنه قائم بالروح ومتصل بالبدن ، والإسلام كالبدن ولايكون البدن حيا إلا مع الروح ، بمعنى أنهما متلازمان ، لا أن مسمى أحدهما هو مسمى الآخر "[48] .

وفي تعريفه لحقيقة معنى الكفر من خلال قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَانْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾[49] ، يقول : " والكُفر – بالضم – إخفاء النعمة ، وبالفتح : الستر مطلقا وهو مشتق من كفر إذا ستر . ولما كان إنكار الخالق أو إنكار كماله أو إنكار ماجاءت به رسله ضربا من كفران نعمته على جاحدها ، أطلق عليه اسم الكفر وغلب استعماله في هذا المعنى ، وهو في الشرع إنكار ما دلت عليه الأدلة القاطعة وتناقلته جميع الشرائع الصحيحة الماضية حتى علمه البشر وتوجهت عقولهم إلى البحث عنه ونصبت عليه الأدلة كوحدانية الله تعالى ووجوده "[50] .

وتعريف الكفر لدى المذهب السني وهو ما يرتضيه في قوله تعالى : ﴿ كَيفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[51] ، يرى أن أصل الكفر بأنه جَحْد المنعَم عليه نعمة المُنعِم

---

[48] – الإيمان ، ابن تيمية ، خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط ١٤٠٦هـ : ص٣٥٠-٣٥١ .

[49] – البقرة : ٥ .

[50] – التحرير والتنوير : ١/٢٤٨-٢٤٩ .

[51] – البقرة : ٢٧ .

وضده الشكر ، وإطلاقه في السنة وفي كلام أئمة المسلمين فهو الاعتقاد الذي يخرج معتقده عن الإسلام ومايدل على ذلك الاعتقاد من قول أو فعل دلالة لا تحتمل غير ذلك ، وإطلاق الكفر في كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وكلام بعض السلف على ارتكاب جريمة عظيمة في الإسلام إطلاقا على وجه التغليظ بالتشبيه المفيد لتشنيع ارتكاب ما هو من الأفعال المباحة عند أهل الكفر[٥٢] .

ويتحدث عن بعض الفرق فيقول : " ولكن بعض فرق المسلمين يتشبثون بظاهر ذلك الإطلاق فيقضون بالكفر على مرتكب الكبائر ولا يلتفتون إلى ما يعارض ذلك في اطلاقات كلام الله ورسوله "[٥٣] .

وكلام ابن عاشور هذا قد يكون المقصود به فرقة الخوارج لأنه يتفق مع ما جاء به صاحب المواقف الذي يقول : " إن مرتكب الكبيرة من أهل الصلاة مؤمن ... وذهب الخوارج إلى إنه كافر ، والحسن البصري إلى أنه منافق والمعتزلة إلى أنه لا مؤمن ولا كافر ... "[٥٤] .

ثم يضيف : " وفرق المسلمين يختلفون في أن ارتكاب بعض الأعمال المنهي عنها يدخل في ماهية الكفر وفي أن إثبات بعض الصفات لله تعالى أو نفي بعض الصفات عنه داخل في ماهية الكفر على مذاهب شتى ، ومذاهب أهل الحق من السلف والخلف أنه لا يكفر أحد من المسلمين بذنب من ذنوب الكبائر ، فقد ارتكبت الذنوب الكبائر في زمان رسول فلم يعاملوا المجرمين

---

٥٢ – ينظر : التحرير والتنوير : ١/٣٧٤-٣٧٥ .

٥٣ – م . ن : ١/٣٧٥ .

٥٤ – المواقف في علم الكلام ، عبدالرحمن بن أحمد الإيجي ، القاهرة مكتبة المتنبي : ص٣٨٩ .

معاملة المرتدين عن الدين ، والقول بتكفير العصاة خطر على الدين لأنه يؤول إلى انحلال جامعة الإسلام ويهون على المذنب الانسلاخ من الإسلام ، ولا يكفر أحد بإثبات صفة لله لا تنافي كماله ولا نفي صفة عنه ليس في نفيها نقصان لجلاله فإن كثيراً من الفرق نفوا صفات ما قصدوا بنفيها إلا إجلالا لله تعالى وربما أفرطوا في ذلك كما نفي المعتزلة صفات المعاني وجواز رؤية الله تعالى، وكثير من الفرق أثبتوا صفات ما قصدوا من إثباتها إلا احترام ظواهر كلامه تعالى كما أثبت بعض السلف اليد والإصبع مع جزمهم بأن الله لا يشبه الحوادث " [٥٥] .

وعلى الرغم من اختلاف ابن عاشور مع الفرق الإسلامية إلا أنه لايميل إلى إثارة التجاذبات المذهبية والخلافات العقدية بين كبريات هذه الفرق ، كما أنه لم يتسرع في إطلاق لفظ الكفر عليهم ويرى أن مسألة التكفير ليست بالأمر الهين حتى تطلق جزافا لمجرد الاختلاف في الرأي .

لاشك في أن أساس العقيدة هو الإيمان بوجود الله ، ولإثبات هذه الحقيقة عرض المفكرون المسلمون بمنهج علمي رصين ، الأدلة القاطعة والبراهين العقلية الواضحة ، بما يخرس ألسنة الملحدين والمشككين [٥٦] ، ولأن الله سبحانه وتعالى بث في الكون الدلائل التي يستطيع العقل أن يصل من خلالها إلى الإيمان بوجود الله .

فمن الأمور العقدية التي أولاها ابن عاشور اهتماما بالغا الإيمان بالله ، فالإقرار بوجود الله تعالى من الأمور الضرورية المسلمة لدى جميع الناس ،

---

٥٥ – التحرير والتنوير : ٣٧٥/١ .

٥٦ – كبرى اليقينيات الكونية ، محمد سعيد البوطي ، دار الفكر ، ١٣٩٤هـ : ص٨١ .

ولم يوجد من ينكر وجوده سبحانه وتعالى في الحقيقة ، ومما يؤكد هذه الحقيقة أن المشركين الذين بُعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعترفون بالخالق ويثبتون وجوده قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُون ﴾ [٥٧] ، وقوله : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَتِ وَالأَرْضَ وسَخَّرَ الشَّمسَ والْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُون ﴾ [٥٨] ، وقوله : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللهُ ﴾[٥٩] فيقول ابن عاشور : " فانتظم من هذه الآيات المفتتحة بقوله (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَتِ وَالأَرْضَ) إلى هنا أصول صفات الله تعالى ، وهي : الخلق ، والرزق والإحياء ، والإماتة ، ... " [٦٠] .

وقد قرر ابن عاشور في آيات كثيرة بين ثنايا تفسيره إثبات وجود الله عن طريق النظر في الآيات ، والاستدلال بالمخلوقات على وجوده تعالى وعظيم قدرته ، نختار منها قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَتِ وَالأَرْضِ واخْتِلَفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ومِا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وبَثَّ فِيه مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الْرِّيحِ والسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ الْسَّماءِ والرْضِ لأَيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٦١] ، يقول : والمقصود من هاته الآية إثبات دلائل وجود الله تعالى ووحدانيته ولذلك ذكرت إثر ذكر الوحدانية [٦٢] لأنها إذا أثبتت بها الوحدانية

---

٥٧ – الزخرف :٨٧ .

٥٨ – العنكبوت : ٦١ .

٥٩ – العنكبوت : ٦٣ .

٦٠ – التحرير والتنوير : ٢٩/٢١ .

٦١ – البقرة : ١٦٣.

٦٢ – قال تعالى : (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلهَ إِلا هُوَ الرَّحمنُ الرَّحِيمُ) البقرة : ١٦٢ .

ثبت الوجود بالضرورة ، فالآية صالحة للرد على كفار قريش دُهريهم ومشركهم ، والمشركون هم المقصود ابتداء وقد قرر الله تعالى في هاته الآية دلائل كلها واضحة من أصناف المخلوقات وهي مع وضوحها تشتمل على أسرار يتفاوت الناس في دركها حتى يتناول كل صنف من العقلاء مقدار الأدلة منها على قدر قرائحهم وعلومهم "[٦٣].

كما استدل على وجود الله بخلق الإنسان وما أودع فيه من أسرار وهذا دليل عقلي دل عليه القرآن وهو من الآيات النفسية . قال تعالى:﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾[٦٤]،

يقول ابن عاشور : " وهذا التكوين العجيب ... يدل على تفرّد مكونه تعالى بالإلهية إذ لايقدر على إيجاد مثل الإنسان غير الله تعالى فإن بواطن أحوال الإنسان وظواهرها عجائب من الانتظام والتناسب ، وأعجبها خلق العقل وحركاته واستخراج المعاني ، وخلق النطق والإلهام إلى اللغة ، وخلق الحواس ، وحركة الدورة الدموية ، وانتساق الأعضاء الرئسية ، وتفاعلها ، وتسوية المفاصل ، والعضلات والأعصاب ، والشرايين وحالها "[٦٥]

وفي تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمِنكُم مَّنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلَ الْعُمُرِ لِكَي لاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾[٦٦] ، يقول : " انتقال من الاستدلال بدقائق صنع الله على وحدانيته إلى الاستدلال بتصرفه في الخلق

---

٦٣ – التحرير والتنوير : ٢/ ٧٧ ، وينظر : ٧/٣٢٥.

٦٤ – الذاريات : ٢١ .

٦٥ – التحرير والتنوير : ٢٦/٣٥٣-٣٥٤ ، وينظر : ٣٠/٦٣٣.

٦٦ – النحل : ٧٠ .

التصرف الغالب لهم الذي لايستطيعون دفعه ، على إنفراده بروبيتهم ، وعلى عظيم قدرته " [٦٧] .

ومن أعظم ماستدل به ابن عاشور على وجود الخالق ووحدانيته وعظيم قدرته معجزات الأنبياء ، فهي طريقة عقلية شرعية صحيحة جاء بها القرآن وأرشد إليها ففي قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءايتِ رَبِّهِمْ إلاَّ كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضَيِنَ ﴾ [٦٨] ، يقول : " والمراد بقوله (مِّنْ ءَايَةٍ) كل دلالة تدل على انفراد الله تعالى بالإلهية ، من ذلك آيات القرآن التي لإعجازها لهم كانت دلائل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبربه من الوحدانية ، وكذلك معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر " [٦٩] .

وفي بيان معنى (الحق) في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاك فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَايَأْفِكُونَ ، فَوَقَعَ الْحَقُّ وبَطَلَ مَاكَانُوا يعْمِلُونَ ﴾ [٧٠] ، يقول : " و(الْحَقُّ) هو الأمر الثابت الموافق للبرهان ، وضده الباطل ، والحق هنا أريد به صدق موسى وصحة معجزته وكون مافعلته العصا هو من صنع الله تعالى " [٧١] .

ومن الأدلة التي استعان بها ابن عاشور للاستدلال على وجود الخالق والإيمان به الدليل العقلي لما له من منزلة كبيرة في الإسلام ، وقرر في أكثر

---

٦٧ – التحرير والتنوير : ٢١١/١٤ .

٦٨ – الأنعام : ٥ .

٦٩ – التحرير والتنوير : ١٣٤/٧ ، وينظر : ٤٤٥/١.

٧٠ – الأعراف :١١٦-١١٧ .

٧١ – التحرير والتنوير : ٥٠/٩ .

من موضع أن معرفة الله كائنة في العقول ، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى ﴾ [(٧٢)] ، يقول : " وفي الآية معنى ثالث وهو انتهاء دلالة الموجودات على وجود الله ووحدانيته لأن الناظر إلى الكائنات يعلم أن وجودها ممكن غير واجب فلابد لها من وجود ، فإذا خيلت الوسوسة للناظر أن يفرض للكائنات موجد مما يبدو له من نحو الشمس أو القمر أو النار لما يرى فيها من عِظم الفاعلية ، لم يلبث أن يظهر له أن المفروض لايخلو عن تغير يدل على حدوثه ، فلا بد له من محدث أوجَدَهُ ، فإذا ذهب الخيال يسلسل مفروضات الإلهية ، كما في قصة إبراهيم ﴿ فَلَمَّا جنّ عَلَيْهِ الَّيْلُ رءا كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي ﴾ [(٧٣)] الآيات ، لم يجد العقل بُدا من الانتهاء إلى وجوب وُجود صانع لممكنات كلها ، وجودُه غير ممكن بل واجب ، وأن يكون متصفا بصفات الكمال وهو الإله الحق، فالله هو المنتهى الذي ينتهي إليه استدلال العقل " [(٧٤)] .

واستدل أيضاً بالفطرة التي تعد من أقوى الأدلة على وجود الخالق ووحدانيته وقد وقف عندها طويلاً وبدأ بتعريفها وذلك عند بيان معنى قوله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّنِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّم وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَيَعْلَمُونَ ﴾ [(٧٥)] ، بأنها : " و (فِطْرَةَ اللهِ) بدل من (حَنِيفاً) بدل اشتمال فهو في معنى الحال من (الدِّينُ) ... أي الدين الذي هو فطرة الله لأن التوحيد هو الفطرة ، والإشراك تبديل

---

٧٢ – النجم : ٤١ .

٧٣ – الأنعام :٧٧ .

٧٤ – التحرير والتنوير : ١٤١/٢٧ .

٧٥ – الروم : ٢٩ .

للفطرة ... وكون الإسلام هو الفطرة ، وملازمة أحكامه لمقتضيات الفطــرة صفة اختص بها الإسلام من بين سائر الأديان " [٧٦] .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَاكَانَ النَّاسُ إلاّ أُمَّةً وحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ولَــوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّك لَقُضِي فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفونَ ﴾ [٧٧] ، يقول : " والمراد هنا أمة واحدة في الدين، والسياق يدل على أن المراد أنها واحدة في الدين الحق وهو التوحيد لأن الحق هو الذي يمكن اتفاق البشر عليه لأنــه ناشــئ عــن سلامة الاعتقاد من الضلال والتحريف ، والإنسان لما أنشئ على فطرة كاملة بعيدة عن التكلف ، وإنما يُتصور ذلك في معرفة الله ... ، فتعين أن النــاس في معرفة الله تعالى كانوا أمة واحدة متفقين على التوحيد ؛ لأن الله لما فطر الإنسان فطره على عقل سليم موافق للواقع ، ووضع في عقله الشعور بخالق وبأنه واحد وضعاً جبلياً كما وضع الإلهامات في أصناف الحيوان " [٧٨] .

وبما أن القرآن يدور على التوحيد وكما قال صلى الله عليه وسلم : " من كان آخر

كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة " [٧٩] ، فإن ابن عاشور اهتم ببيان توحيــد الألوهية وتعريف الذات العلية [٨٠] أثناء تفسيره للعديد من الآيات وهو بهذا قد خالف الأشاعرة ، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُــوب كُــلاًّ

٧٦ – التحرير والتنوير : ٢١/٨٩-٩٢ .

٧٧ – يونس : ١٩ .

٧٨ – التحرير والتنوير : ١١/١٢٧ .

٧٩ – أخرجه أبي داود في سننه ، أبوداود سليمان بن الأشعث السجستاني ، كتــاب الجنائز ، باب في التلقين (حديث رقم ٣١١٦) ، ظبط أحاديثه وعلــق حواشــيه محمد محي الدين عبدالحميد ، تركيا ، المكتبة الاسلامية : ٣/١٩٠ .

٨٠ – التحرير والتنوير : ١/١٦٢-١٦٣ .

هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ [٨١] ، فيقول : " وجملة (وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ) عطف على الاعتراض ، أي وهدينا نوحاً من قبلهم . وهذا استطراد بذكر بعض من أنعم الله عليهم بالهدى وإشارة إلى أن الهدى هو الأصل ، ومن أعظم الهدى التوحيد كما علمت " [٨٢].

وكذلك عند تفسير قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلَئِكَةُ وَأُولُواْ الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لاَإِلَهَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [٨٣] ، يقول : " استئناف وتمهيد لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ ﴾ [٨٤]، ذلك أن أساس الإسلام هو توحيد الله . وإعلان هذا التوحيد ، وتخليصه من شوائب الإشراك ، وفيه تعريض بالمشركين وبالنصارى واليهود ، وإن تفاوتوا في مراتب الإشراك " [٨٥].

أما فيما يتعلق بمنهج الأسماء والصفات فقد سار ابن عاشور على طريقة الأشاعرة في العموم الأغلب ، وإن كان لايلتزم هذا المذهب دائما وهو يرى فيه الخطأ أحيانا ، ونظرا لضيق مجال هذا البحث فإنه يصعب علينا تتبع وتحديد آرائه ، والوقوف عند مواضع الاتفاق والاختلاف معهم " وأشعريته هذه لم تجعله متبعا لمذهبهم اتباعا مطلقا ، وإنما كان يقبل من آرائهم مايجده مستساغا ومنسجما مع صحيح المنقول وصريح المعقول ، وتسمح به اللغة والتراكم المعرفي والقراءة المقاصدية للنص ، ويرفض

---

٨١ – الأنعام : ٨٥ .

٨٢ – التحرير والتنوير : ٣٣٧/٧ ، وينظر : ٧٤/٢-٧٥.

٨٣ – آل عمران : ١٨ .

٨٤ – آل عمران : ١٩ .

٨٥ – التحرير والتنوير : ١٨٦/٣ .

مادون ذلك ، فهو رغم انتسابه إلى الأشاعرة نجده – أحيانا – يتعرض إليهم بالنقد ، ولا يقبل بعض آرائهم ويضعف حججهم أحيانا ، ويعتبرها لم تبلـغ المطلوب ، كما نجده يثني عليهم ويتبنى مواقفهم في مواطن أخرى ، وينفرد بالرأي في بعض المسائل من جهة ثالثة "[٨٦] .

وبالرغم من اختلافه معهم في بعض الصفات والرد على تـأويلاتهم ، إلا أنه تعرض للنقد الشديد من قبل أحد الباحثين فيقول : " وأما عقيدة الأسماء والصفات : فهو أشعري جلد وقد صرح بذلك في بعض الصفات ، يكثر من التحليلات والتعليلات ويظهر بعض الاعتراضات التـي لاتزيـد المـذهب الأشعري إلا تقعرا ، ينظر إلى طاغوت التأويل الذي اتخذه الأشاعرة عمـدة في صفات الله بأنه سيف مسلول على الملاحدة مع أن الذي يعـرف حقيقتـه لايزمع عنده جناح بعوضة ، وإذا ذكر عقيدة السلف يذكرها بخلط وضـعف وإنها عقيدة المساكين السدج "[٨٧] .

فمن الألفاظ والصفات التي تعرض لها ابن عاشور بالتفسير والتحليـل والمقارنة : صفة الرحمة[٨٨] ،والغضب[٨٩] ، والاسـتهزاء[٩٠] ، والحيـاء[٩١] ، والوجه[٩٢] ، والإتيان

---

٨٦ – موقف الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور من الأشعرية ، حمـودة السـعفي ، (العلامة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور وإسهامه في تجديـد الفكـر الـديني) ، تونس ، وزارة الشؤون الدينية ، سلسلة آفاق إسلامية ، ط١ ، ١٩٩٦م : ص١٢١-١٢٢ .

٨٧ – المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات ، محمد بـن عبـدالرحمن المغراوي ، (التفاسير الخلفية / الأشاعرة : محمود حجازي) ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، دار القرآن ، ط١ ، ٢٠٠٠م : ٣/١٤٠٣ .

٨٨ – التحرير والتنوير : ١/١٦٩-١٧٠ .

والمجيء [٩٣] ، والعلو والفوقية [٩٤] ، والعندية [٩٥] ، والكلام [٩٦] ، واليد واليمين [٩٧] ،
والنفس [٩٨] ، والرضى [٩٩] ، والاستواء [١٠٠] ، والعين [١٠١] ، والنور [١٠٢] ،
والتعجب [١٠٣] ، والأول والآخر الظاهر الباطن [١٠٤] ، والمجيء [١٠٥] ،
والرؤية [١٠٦] ، والحياة [١٠٧] ، والبصر [١٠٨] .

---

٨٩ – م . ن : ١/١٩٧-١٩٨ .

٩٠ – م . ن : ١/٢٩٤.

٩١ – م . ن : ١/٣٦١ .

٩٢ – م . ن : ١/٦٨٣ ، وينظر : ٢٠/١٩٧ ، ٢٧/٢٥٣ .

٩٣ – م . ن : ٢/٢٨٤-٢٨٦ ، ٣٠/٢٣٧.

٩٤ – م . ن : ١/٢٣ ، وينظر : ٧/١٠٣ ، ٧/١٦٥ .

٩٥ – م . ن : ٤/١٦٥-١٦٦ ، ٩/٢٤٣ .

٩٦ – م . ن : ٦/٣٥-٣٩.

٩٧ – م . ن : ٦/٢٥٠ ، وينظر : ٢٣/٣٠٢-٣٠٣ ، ٢٤/٦٢-٦٣ .

٩٨ – التحرير والتنوير : ٧/١١٥ .

٩٩ – م . ن : ٧/١١٩٢٣/٣٣٧-٣٤٠ .

١٠٠ – م . ن : ٨/١٦٢-١٦٦ ٢/١٥٢ .

١٠١ – م . ن : ١٢/٦٦ .

١٠٢ – م . ن : ١٨/٢٣١-٢٣٣ ، ٢٤/٦٦-٧٦ .

١٠٣ – م . ن : ٢٣/٩٦-٩٧ .

١٠٤ – م . ن : ٢٧/٣٦٠-٣٦٣ .

١٠٥ – م . ن : ٣٠/٣٣٧-٣٣٨ .

١٠٦ – م . ن : ٧/٤١٥ ، ٩/٩١.

ومنهج الإصلاح العقدي عنده يميز بمراحل منها ضـــرورة التصـــدي للخطأ في صفاته تعالى فيقول : " وأما الخطأ في صـــفات الله تعـــالى فهـــو مايعرض للعقائد الدينية التي صحت أصولها ، وأهلها وإن كانوا قـــد آمنـــوا بوجود الله وتقديسه هم خلطوا ذلك بإثبات صفات لله لاتناسب قدسيته ، كمـــا قال الله تعالى ﴿ وماقدروا الله حق قدره ﴾ [(١٠٩)] فهـــم يأخـــذون الإشـــراك بنصيب إذ ليس الإشراك إلا خطأ في أعظم صـــفة لله وهـــي الوحدانيـــة ، ويأخذون التعطيل بنصيب لأن إثبات صفات لا تليق بالله تعالى يستلزم نفـــي أضدادها التي هـــي كمـــــــــــالات وإن إثبـــات إلاه متصـــف بغيـــر صفـــــــــــات الإله بمنـــزلة نفي ذلك الموصوف [(١١٠)] .

وقد كان منهجه الإصلاحي العقدي من الأسس التي قام عليهـــا المـــنهج الدعائي والهدائي الإرشادي في فكره فنراه يقول : " لقد كان شأن الاعتقـــاد أول ماهتم به الإسلام ، فكان ابتداء الدعـــــــــــوة إلى الإيمـــان بـــالله الواحد ونبذ الأصنام وقد جعل ذلك مبنى الخيـــــــــــــر كله " [(١١١)] .

وإن أكثر الشوائب التي أصابت العقيدة الإيمانية كانت بسبب الزيغ الذي حدث في تأويل صفات الله وفي ذلك يقول ابن عاشور : " وإن إعلان مايجب على المؤمن اعتقاده من صفات الله تعالى هو تكملة لإصلاح الاعتقاد ، لأن تصور الإله موصوفا بصفات غير كاملة يفيت المقصود من إثبات وجـــوده

---

١٠٧ – م . ن : ١٩٢/٢٤ ، ٣١٢/١٦ .

١٠٨ – م . ن : ٦١٩/١ ، ١٤٨/٣ .

١٠٩ – الأنعام : ٩١ ، والزمر ٦٧ .

١١٠ – أصول النظام الاجتماعي في الاسلام ، محمد الطاهر ابن عاشور ، تونس ، الشركة التونسية للتوزيع ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٧٧م: ص٤٩ .

١١١ – أصول النظام الاجتماعي في الاسلام : ص٤٩ .

ووحدانيته ، لأنه إذا كان موجودا ولم يكن كاملا كان وجوده قريبا من العدم ، فالحاجة إلى تقرير مايجب على المؤمن من معرفته مع اعتقاد عموم علمه وقدرته على مايرد حاجة أكيدة "[١١٢] .

أما الركن الثاني وهو الإيمان بالملائكة فقد تعرض ابن عاشور في مواضع متعددة لهذا الأصل العظيم ، مثبتا وجودهم ووجوب الإيمان بهم ، وماهيتهم ووظائفهم وصفاتهم ، ففي تعريف هذه المخلوقات عند قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ جَاعِلَ الْمَلَئِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحةٍ مَّثْنَى وَثَلاثَ وَرُبَعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَايَشَاءُ إِنَّ اللْهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ ﴾[١١٣] ، يقول بأنها : " أجسام لطيفة نورانية أخيار ذوو قوة عظيمة ، ومن خصائصهم القدرة على التشكل بأشكال مختلفة ، والعلم بما تتوقف عليه أعمالهم ، ومقرهم السماوات مالم يرسلوا إلى جهة من الأرض ، دل على تشكلهم قوله تعالى لهم يوم بدر : ﴿ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾[١١٤] "[١١٥] .

وفي قوله تعالى : " ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾[١١٦] ، يرى أن " الملائكة عباد مكرمون، أي أكرمهم الله برضاه عنهم وجعلهم من عباده المقربين وفضلهم على كثير من خلقه الصالحين "[١١٧] .

---

١١٢ – م . ن : ص٤٩ .

١١٣ – فاطر : ١ .

١١٤ – الأنفال : ١٢ .

١١٥ – التحرير والتنوير : ٢٥٠/٢٢ .

١١٦ – الأنبياء : ٢٦ .

١١٧ – التحرير والتنوير : ٥٠/١٧

وفي قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنونَ بِالْغَيبِ ﴾ [118] ، قال : " المراد بالغيب ما لايدرك بالحواس مما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم صريحاً بأنه واقع ، أو سيقع مثل وجود الله ، وصفاته ، ووجود الملائكة ، والشياطين ، وأشراط الساعة ، وما استأثر الله بعلمه " [119] .

وقال عند بيان أغراض سورة الصافات : " والملائكة من جملة المخلوقات الدال خلقها على عظم الخالق ، ويؤذن القسم بأنها أشرف المخلوقات العلوية " [120] .

وعند قوله تعالى :﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ [121] ، قال : " و(مَنْ حَوْلَهُ) طائفة من الملائكة تحفّ بالعرش تحقيقا لعظمته قال تعالى : ﴿ وتَرَى الْمَلَئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ [122] ، ولاحاجة إلى الخوض في عددهم ﴿ وَمَايَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ﴾ [123] " [124] .

---

١١٨ – البقرة : ٢ .

١١٩ – التحرير والتنوير : ٢٢٩/١ .

١٢٠ – م . ن : ٨٢/٢٣ .

١٢١ – غافر : ٦ .

١٢٢ – الزمر : ٧٢ .

١٢٣ – المدثر : ٣١ .

١٢٤ – التحرير والتنوير : ٨٩/٢٤ .

ومما ذكره من صفاتهم أنهم مفطورون على الصدق والنزاهة من كل مؤاربة [125] وأنهم منزهزن عن المعاصي [126] ، وينتقلون من مكان إلى مكان [127] ، وأنهم يسبحون

الله لا يعطلهم عن ذلك تبليغ الوحي و لاغيره من الأقوال [128] ، وأنهم ذوو أجنحة بعضها مصففة جناحين جناحين في الصف ، وبعضها ثلاثة ثلاثة ، وبعضها أربعة أربعة ، وقد تتعدد صفوفه فتبلغ أعدادا كثيرة [129] ، وأنهم عباد مكرمون مقربون عند الله تعالـــى [130] .

ومما ذكره من أعمالهم : إحصاء أعمال العباد من خير وشر [131] ، والدعاء والاستغفار للمؤمنين [132] ، وتبليغ أمر الله تعالى إلى رسله من البشر [133] ، وقبض أرواح الناس [134] ، والنفخ في الصور وأن الملك الموكل به اسرافيل [135] .

---

125 – ينظر : م . ن : ٤٠٢/١ .

126 – ينظر : م . ن : ٤٢٣/١

127 – ينظر : م . ن : ٣٨/٨ .

128 – ينظر : م . ن : ٣٦/١٧ .

129 – ينظر : التحرير والتنوير: ٢٥٠/٢٣ .

130 – ينظر : م . ن : ٣٥٨/٢٦ .

131 – ينظر : م . ن : ٢٧٨/٧ .

132 – ينظر : م . ن : ٤٩/٢٢ ، ٨٩/٢٤ .

133 – ينظر : م . ن : ٦٢٠/١-٦٢٣ .

134 – ينظر : م . ن : ٥/ ١٧٣-١٧٤ .

135 – ينظر : م . ن : ٣٦/٢٣ .

ويناقش مسألة الاعتقاد فيهم من قبل المشركين ومسألة التفاضل بينهم وبين الأنبياء من خلال الآية الكريمة : ﴿ لَّنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ (١٣٦) ، فيقول : " تقدم قبله قوله (سبحانه أن يكون له ولد) وقد قالت العرب أن الملائكة بنات الله من نساء الجن ، ولأنه قد تقدم أيضاً (له مافي السموات ومافي الأرض) ومن أفضل مافي السموات الملائكة ، فذكروا هنا للدلالة على ماتضمنه قوله (سبحانه أن يكون له ولد) فلا دلالة فيه على تفضيل الملائكة على المسيح ، ولا العكس ومحتملا للترقّي إلى ماهو الأولى بعكس الحكم في أوهام المخاطبين ، وإلى هذا الأخير مال صاحب الكشاف ، ومثله بقوله تعالى : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ (١٣٧) ، وجعل الآية دليلاً على أن الملائكة أفضل من المسيح وهو قول المعتزلة ، بتفضيل الملائكة على الأنبياء ورغم أن علم المعاني لا يقتضي غير ذلك ، وهو تضييق لواسع فإن الكلام محتمل لوجوه ، كما علمت فلا ينهض به الاستدلال " (١٣٨) .

وينتهي بالقول إلى أن الخوض في مثل هذه الأمور لا جدوى منه فيقول : " وأعلم أن تفضيل الأنبياء على الملائكة مطلقا هو قول جمهور أهل السنة ، وتفضيل الملائكة عليهم قول جمهور المعتزلة والباقلاني والحليمي من أهل السنة ، وقال قوم بالتفصيل في التفضيل ، ونسب إلى بعض الماتريدية ، ولم يضبط ذلك التفصيل ، والمسألة اجتهادية ، ولا طائل وراء الخوض فيها وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الخوض في تفاضل الأنبياء ، فما ظنك

---

١٣٦ – النساء : ١٧٢ .

١٣٧ – البقرة : ١١٩ .

١٣٨ – التحرير والتنوير :٦/٦٠ .

بالخوض في التفاضل بين الأنبياء وبين مخلوقات عالم آخر لا صلة لنا به "[١٣٩].

هذا مجمل رأي ابن عاشور في الملائكة تكوينا ووظيفة ، وقد حاول ألا يتجاوز ما نصّ عليه في وجوب احترام الحقائق الغيبية وعدم الخوض فيها إلا بمقدار.

أما قضية الإيمان بالكتب السماوية فقد بين ضرورة وجوب الإيمان بها ، ويرى أن: " الإيمان بالكتب والرسل إنما هو لصلاح الناس والخروج بهم من الظلمات إلى النور "[١٤٠]

وعند بيان معنى قوله تعالى : ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[١٤١] ، يقول : " والمراد بما أنزل إلينا القرآن وما أنزل على الأنبياء والرسل من وحي وما أوتوه من الكتب ، والمعنى أنا آمنا بأن الله أنزل تلك الشرائع ، وهذا لا ينافي أن بعضها نسخ بعضاً ، وأن ما أنزل إلينا نسخ جميعها فيما خالفها فيه "[١٤٢].

وفي قوله تعالى : ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللهُ مِن كِتَابٍ ﴾[١٤٣] ، يقول : " وقوله (وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَا

١٣٩ – التحرير والتنوير :٦٠/٦ .

١٤٠ – م . ن :٦١٢/١ .

١٤١ – البقرة : ١٣٥ .

١٤٢ – التحرير والتنوير :٧٣٩/١ .

١٤٣ – الشورى : ١٣ .

أَنزَلَ اللهُ مِن كِتَابٍ) بعد قوله (فَادْعُ) أمرٌ بمخالفة اليهود إذ قالوا (نُـؤْمِن بِبِعْض) يعنون التوراة (وَنَكْفر بِبِعْض) يعنون الإنجيل والقـرآن ، فـأمر الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون بالإيمان بالكتب الثلاثة الموحى بها من الله .... و (مِن كِتَابٍ) بيان لما أنزل الله ، فالتنكير في (كِتَابٍ) للنوعية ، أي بأي كتاب أنزله الله وليس يومئـذ كتـاب معـروف غيـر التـوراة والإنجيـــــل والقرآن " (١٤٤) .

وفي تعريف (الزبـور) فـي قولـه تعالــــى : ﴿ وءاتَيْنَـا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ (١٤٥) ، يقـول : " وداود أبو سليمان ... بعثه الله لنصر بني إسرائيل ، وأنزل عليه كتابا فيه مواعظ وأمثال كان بنو إسرائيل يترنمون بفصوله ، وهو المسمى بالزُبور ... ومعناه الكتابة ويسمى المكتوب زَبورا ... وهو أحد أسفار الكتاب المقدس عند اليهود " (١٤٦) .

وفي تعريف (صحف موسى) في قوله تعالى :﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَـا فـي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الذِي وَفَّى ﴾ (١٤٧) ، يقول : " وصحف موسى : هي التوراة ، وصحف إبراهيم : صحف سُجِّل فيها ما أوحى الله إليه " (١٤٨) .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (١٤٩) ، فقال : " وقد أشارت الآية إلى حالتي القرآن

---

١٤٤ – التحرير والتنوير :٦٢/٢٥ .

١٤٥ – النساء : ١٦٢ .

١٤٦ – التحرير والتنوير :٦/٣٤-٣٥ .

١٤٧ – النجم : ٣٦-٣٧ .

١٤٨ – التحرير والتنوير :١٢٩/٢٧ .

بالنّسبة لما قبله من الكتب ، فهو مؤيد لبعض مافي الشرائع مقرّر له من كل حكم كانت مصلحته كليّة لم تختلف مصلحته باختلاف الأمم والأزمان ، وهو بهذا الوصف مُصدّق ، أي محقّق ومقرّر، وهو أيضا مبطل لبعض مافي الشرائع السالفة وناسخ لأحكام كثيرة كل ماكانت
مصالحه جزئية مؤقتة مراعى فيها أحوال أقوام خاصة "[١٥٠] .

وفي الإيمان بالأنبياء والرسل قال عند بيان معنى (النبيئين) في قوله تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيئِينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَبَ بِالْحقِّ لِيَحْكُمِ بَيْنَ النَّاسِ فِيما اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾[١٥١] ، " والنبيين جمع نبي وهو فعيل بمعنى مفعول مشتق من النبأ وهو الخبر المهم ، لأن الله أخبره بالوحي "[١٥٢] ، وهو ماذهب إليه علماء اللغة في تعريف النبي لغة : مشتق من النبأ وهو الخبر ، قال تعالى : ﴿ عَمّ يَتَسَاءَلُونَ ،عَنِ النَّبإِ الْعَظِيمِ ﴾[١٥٣] ، وقيل من النباوة وهو ما ارتفع من الأرض ، وقيل : النبي هو الطريق الواضح ، لأن العرب تطلق لفظ النبي على عَلَم من أعلام الأرض التي يهتدى بها[١٥٤] .

---

١٤٩ – المائدة : ٥٠ .

١٥٠ – التحرير والتنوير :٢٢١/٦ .

١٥١ – البقرة : ٢١١ .

١٥٢ – التحرير والتنوير : ٣٠٦/١ .

١٥٣ – النبأ : ١-٢ .

١٥٤ – ينظر : الصحاح ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ، ط٣ ، ١٤٠٤هـ بيروت ، دار العلم للملايين : ٤٧/١ ، ٢٥٠٠/٦ مادة نبا ، ولسان العرب : ٤٣١٥/٧-٤٣١٦ .

وقال أيضاً في في الآية نفسها : " والتعريف في النبأ تعريف الجنس فيشمل كل نبأ عظيم أنبأهم الرسول صلى الله عليه وسلم به ، وأول ذلك إنباؤه بأن القرآن كلام الله ، وماتضمنه القرآن من إبطال الشرك ، ومن إثبات بعث الناس يوم القيامة "[155] .

الرسول لغة : مشتق من الإرسال وهو البعث والتوجيه ، تقول أرسلت فلانا في رسالة فهو مُرْسَلٌ ورَسُول ، قال تعالى عن ملكة سبأ : ﴿ وإِنِّي مُرسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾[156] ، وأيضاً : الذي يتابع أخبار من بعثه ، أخذا من قولهم جاءت الإبل رِسِلاً ، أي متتابعة . وسمي الرسل بذلك لأنهم مبعوثون وموجهون برسالة من قبل الله تعالى إلى عباده[157] .

أما الفرق بين النبي والرسول فقد اختلف العلماء فيما بينهم ، فذهب بعضهم بأنه لا
فرق بين النبي والرسول وذهب البعض الآخر إلى أن هناك فرق بينهما مع الاختلاف
في تحديد الفرق ولكن القول المشهور بينهم هو : أن النبي من أوحى إليه بشرع فإن أمر بتبليغه فهو نبي رسول وإن لم يؤمر بتبليغه فهو نبي وليس

---

١٥٥ – التحرير والتنوير : ٣٠/١٠.

١٥٦ – النمل : ٣٥ .

١٥٧ – ينظر : الصحاح : ١٧٠٩/٤مادة رسل ، والقاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، طبعة مرقمة مصححة : ص١٣٠٠.

برسول ، فبين النبي والرسول عموم وخصوص مطلق ، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا[158] .

وقد فرّق ابن عاشور بين النبي والرسول فقال في الآية الكريمة :﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَبِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا وكَانَ رَسُولاً نَّبِيًا ﴾[159] ، " وعطف (نَبِيًا) على (رَسُولاً) مع أن الرسول بالمعنى الشرعي أخص من النبي ، فلأن الرسول هو المرسل بوحي من الله ليبلغ إلى الناس فلا يكون الرسول إلا نبيئا ، وأما النبي فهو المنبأ بوحي من الله وإن لم يؤمر بتبليغه ، فإذا لم يؤمر بالتبليغ فهو نبي وليس رسولا ، فالجمع بينهما هنا لتأكيد الوصف ، إشارة إلى أنّ رسالته بلغت مبلغا قويا ، فقوله (نبيئا) تأكيد لوصف (رسولا) "[160] .

وقال في موضع آخر : ﴿ وَمَاأَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَنَبِيءٍ ﴾[161] ، " وعطف (نَبِيٍ) على (رَّسُولٍ) دالّ على أن للنبي معنى غير معنى الرسول . فالرسول هو الرجل المبعوث من الله إلى الناس بشريعة ، والنبي : من أوحى الله إليه بإصلاح أمر قوم بحملهم على شريعة سابقة أو بإرشادهم إلى ماهو مستقر في الشرائع كلها، فالنبي أعمّ من الرسول وهو التحقيق "[162] .

---

[158] –ينظر : شرح العقيدة الطحاوية ، علي بن علي بن أبي العز ، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط٣ ، ١٤١٣هـ : ص١٥٥ .

[159] – مريم : ٥٠ .

[160] – التحرير والتنوير : ١٢٧/١٦.

[161] – الحج : ٥٠ .

[162] – التحرير والتنوير : ٢٩٧/١٧.

وقال أيضاً في قوله تعالى:﴿ إِنَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ ﴾[١٦٣] ، " وعدّ الله هنا جمعا من النبيئين والمرسلين وذكر أنه أوحى إليهم ولم يختلف العلماء في أنّ الرسل والأنبياء يُوحى إليهم ، وإنما اختلفت عباراتهم في معنى الرسول والنبي ، ففي كلام جماعة من علمائنا لانجد تفرقة ، وأنّ كل نبيء فهو رسول لأنه يوحى إليه بما لايخلو من تبليغه ولو إلى أهل بيته ، وقد يكون حال الرسول مبتدأ بنبؤة ثمّ يعقبها إرساله ، فتلك النبوءة تمهيد للرسالة كما كان أمر مبدإ الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه أخبر خديجة ، ونزل عليه :﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾[١٦٤] ، .... والقول الصحيح أن الرسول أخصّ ، وهو من أوحى إليه مع الأمر بالتبليغ ، والنبي لايؤمر بالتبليغ وإن كان قد يبلّغ على وجه الأمر بالمعروف والدعاء للخير ، يعني بدون إنذار وتبشير "[١٦٥] .

وفي قضية الإيمان بالبعث فهو جزء من الإيمان باليوم الآخر ، وأصل عظيم من أصول الإيمان ، وأن الله تعالى يجازي العباد يوم القيامة ويحاسبهم على ماعملوه في الدنيا ، قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوِ الْحَقُّ وِأَنَّهُ يُحْيِي الْمِوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شيءٍ قَدَيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ ءاتِيَةٌ لاَّ رِيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴾[١٦٦] ، وقال صلى الله عليه وسلم : " لايؤمن عبد

---

١٦٣ – النساء : ١٦٢ .

١٦٤ – الشعراء : ٢١٤ .

١٦٥ – التحرير والتنوير : ٣٢/٦.

١٦٦ – الحج : ٦-٧ .

حتى يؤمن بأربع : يشهد أن لا إله إلا الله ، وأني محمد رسول الله بعثني بالحق ، ويؤمن بالموت ، وبالبعث بعد الموت ، ويؤمن بالقدر " [١٦٧] .

وقد اعتنى ابن عاشور بتقرير البعث ففي قوله تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَّخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاَّ رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّلِمُونَ إِلاَّ كُفُوراً ﴾ [١٦٨] ، يقول : " وجملة (وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاَّ رَيْبَ فِيهِ) معطوفة على جملة (أَوَ لَمْ يَرَوْا) لتأويلها بمعنى قد رأوا ذلك لو كان لهم عقول . أي تحققوا أن الله قادر على إعادة الخلق وقد جعل لهم أجلا لاريب فيه .... والأجل هنا محتمل لإرادة الوقت الذي جعل لوقوع البعث في علم الله تعالى ، ووجه كون هذا الجعل لهم أنهم داخلون في ذلك الأجل لأنهم من جملة من يُبعث حينئذ ، فتخصيصهم بالذكر لأنهم الذين أنكروا البعث ، والمعنى : وجعل لهم ولغيرهم أجلا ... ويجوز أن يكون الأجل أجل الحياة ، أي وجعل لحياتهم أجلا ، فيكون استدلالا ثانيا على البعث ، أي ألم يروا أنه جعل لهم أجلا لحياتهم ، فما أوجدهم وأحياهم وجعل لحياتهم أجلا إلا لأنه سيعيدهم إلى حياة أخرى ، وإلا لما أفناهم بعد أن أحياهم ، لأن الحكمة تقتضي أن مايوجده الحكيم يحرص على بقائه وعدم

---

١٦٧ – أخرجه الترمذي في سننه ، أبوعيسى محمد بن عيسى الترمذي ، ، في كتاب القدر – باب ماجاء في الإيمان بالقدر ، (حديث رقم ٢١٤٦) ، أشرف على التعليق والطبع عزت عبيد دعاس ، تركيا ، المكتبة الإسلامية : ٣١٩/٦ ، وأخرجه ابن ماجة في سننه ، أبو عبدالله بن يزيد القزويني ، في المقدمة باب في القدر (حديث رقم ٨١) حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وحديثه محمد فؤاد عبدالباقي ، تركيا ، المكتبة الإسلامية :٣٢/١.

١٦٨ – الاسراء : ٩٩ .

فنائه ، فما كان هذا الفناء الذي لاريب فيه إلا فناء عارضا لاستقبال وجود أعظم من هذا الوجود وأبقى "[١٦٩] .

وقد قرر كفر من أنكر البعث فقال عند تفسير للآية الكريمة : ﴿ يَأَيُّهَا الإِنْسَنُ مَاغَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾[١٧٠] ، فالمعنى : يا أيها الإنسان الذي أنكر البعث ، ولا يكون منكر البعث إلا مشركا ؛ لأن إنكار البعث والشرك متلازمان "[١٧١] .

وفي قوله تعالى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهدَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخبير ﴾[١٧٢] ، يقول : "ولما انتهى المقصود من الإخبار عن شؤون من شأن الله تعالى أتبع بصفات تشير إلى المحاسبة على كل جليل ودقيق وظاهر وباطن "[١٧٣] .

ويرى أن الحكمة من البعث هي الجزاء ففي الآية الكريمة : ﴿ لِّيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلِحَتِ أُوْلَئِكَ لَهمْ مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[١٧٤] ، يقول : " والمعنى : أن الحكمة في إيجاد الساعة للبعث والحشر هي جزاء الصالحين على صلاح اعتقادهم وأعمالهم ، أي جزاءً صالحا مماثلا ، وجزاء المفسدين جزاء سيئا "[١٧٥] .

---

١٦٩ – التحرير والتنوير : ٢٢١/١٥-٢٢٢ ، وينظر أيضاً : ١٥٧/١٧ ، ٣٦٦/٢٩-٣٦٧.

١٧٠ – الانفطار : ٦ .

١٧١ – التحرير والتنوير : ١٧٥/٣٠.

١٧٢ – الأنعام :٧٤ .

١٧٣ – التحرير والتنوير : ٣٠٩/٧ .

١٧٤ – سبأ : ٤ .

١٧٥ – التحرير والتنوير : ١٤٢/٢٢ ، ١٧٩/٣٠ .

ويقرر بأن : " الله جعل الجنة وجهنم إتماما لحكمته ومراده من نظام الحياة الدنيا ليكون الناس فيها على أكمل ماترتقي إليه النفس الزكية " [(١٧٦)] .

أما الإيمان بالقدر فهو واجب وركن من أركان الإيمان وتعريفه لغة : القضاء والحكم ومبلغ الشيء [(١٧٧)] . وعرفه ابن عاشور : " القدَر بتحريك الدال مرادف القدْر بسكونها وهو تحديد الأمور وضبطها " [(١٧٨)] ، وفي موضع آخر : " القدَر بفتح الدال لغة هو تعيين مقدار الأشياء كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[(١٧٩)] ، أي بإتقان وضبط " [(١٨٠)] ، وقد عرفه اصطلاحا عند تفسير الآية السابقة بقوله : " ومما يستلزمه معنى القدر أن كل شيء مخلوق هو جار على وفق علم الله وإرادته لأنه خالق أصول الأشياء وجاعل القوى فيها لتنبعث عنها آثارها ومتولداتها ، فهو عالم بذلك ومريد لوقوعه وهذا قد سمي بالقدر في اصطلاح الشريعة كما جاء في

---

١٧٦ – م . ن : ٣٦٢/٢٣ .

١٧٧ – ينظر : الصحاح : ٧٨٦/٢ مادة : قدر ، والنهاية في غريب الحديث ، مجدالدين المبارك بن محمد الجزري إبن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ، بيروت ، المكتبة العلمية:٢٢/٤ .

١٧٨ – التحرير والتنوير ٢١٧/٢٧ .

١٧٩ – القمر : ٤٩ .

١٨٠ – كشف المغطأ من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ ، محمد الطاهر ابن عاشور ، نشر الشركة التونسية للتوزيع والشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر ، ١٩٧٦ :ص٣٣٩ .

حديث جبريل الصحيح في ذكر مايقع به الإيمان (وتؤمن بالقدر خيره وشره)[181] "[182] .

وعنده أيضاً : " وأطلق في الشرع على علم الله تعالى بما تكون عليه الأشياء مع إرادته أن تكون كذلك قبل تعلق القُدرة بإبرازها ، فهو مجموع تعلق العلم والإرادة بالممكنات وأحوالها قبل وقوعها فهو التعلق الصلوحي بالنسبة للإرادة وبهذا المعنى جاء في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَامُوسَى ﴾[183] "[184] .

ويرى ابن عاشور عدم الخوض في القدر إلا لعالم لوجود بعض الأحاديث والآثار التي تدل على النهي : " فما وقع في الترجمة هنا من قوله (النهي عن القول بالقدر) يحتمل أن معناه النهي عن اعتقاد رأي القدرية ... ، ويحتمل أن معناه النهي عن التكلم في القدر لأنه يجر إلى شبهة في العقيدة لا يسهل اقتلاعها من نفوس عموم الناس ، فكان هذا النهي سدا لذريعة اختلال العقيدة . وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن

---

181 – أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله (حديث رقم ١) : ٣٧/١ .

182 – التحرير والتنوير ٢١٨/٢٧ .

183 – طه : ٤٠ .

184 – كشف المغطأ من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ : ص٣٣٩ .

الخوض في سر القدر بقوله : (إذا ذكر القدر فأمسكوا)[185] وهو حديث حسنه الرواة "[186].

وقد نبه إلى أن : " حقيقة القدر الاصطلاحي خفية فإن مقدار تأثر الكائنات بتصرفات الله تعالى وبتسبب أسبابها ونهوض موانعها لم يبلغ علم الانسان إلى كشف غوامضه ومعرفة مامكّن الله الإنسان من تنفيذ لما قدّره الله "[187].

من مراتب القدر : مرتبة العلم ؛ أي علم الله الأزلي بكل شيء قبل وجوده ، وقد قررها ابن عاشور في مواضع متعددة منها قوله تعالى : ﴿ ذلِكَ لِتَعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَافي السَّمواتِ ومَافِي الأَرْضَ وَأَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ ﴾[188] ، فيقول : " والمقصود أنه يعلم مافي السموات ومافي الأرض قبل وقوعه ... وأما كونه يعلم ذلك بعد وقوعه فلا يحتاج للاستدلال لأنه أولى ، ولأن كثيرا من الخلائق قد علم تلك الأحوال بعد وقوعها ... وأما دلالة ذلك على أنه بكل شيء عليم فلأن فيما ثبت من هذا العلم الذي تقرر من علمه بما في السماوات ومافي الأرض أنواعا من المعلومات جليلة ودقيقة؛ فالعلم بها قبل وقوعها لا محالة ، فلو لم يكن يعلم جميع الأشياء لم يخل من جهل بعضها ، فيكون ذلك الجهل معطلا لعلمه بكثير مما يتوقف تدبيره على

---

١٨٥ – أخرجه الطبراني ، المعجم الكبير ، الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني ، (حديث رقم ١٠٤٤٨) تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة : ٢٤٣/١٠ .

١٨٦ – كشف المغطأ من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ : ص٣٣٩ .

١٨٧ – التحرير والتنوير : ٢١٩/٢٧ .

١٨٨ – المائدة : ٩٧ .

العلم بذلك المجهول فهو مادبر جعل الكعبة قياما ومانشأ عن ذلك إلا عن عموم علمه بالأشياء ولولا عمومه ماتم تدبير ذلك المقدّر "[189] .

والمرتبة الثانية : مرتبة الكتابة ففي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَافِي السَّماءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَبٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ﴾[190] ، فيقول : " والكتاب هو مابه حفظ جميع الأعمال : إما على تشبيه تمام الحفظ بالكتابة ، وإما على الحقيقة ، وهو جائز أن يجعل الله كتابا لائقا بالمغيبات "[191] .

أما مرتبة المشيئة فقد أثبتها ابن عاشور عند قوله تعالى : ﴿ وَمَاكَانَ لِنَفسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ ﴾[192] ، فيقول : " فبينت آية : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لأَمِنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً ﴾[193] ، أن إيمان من لم يؤمن هو عدم مشيئة الله إيمانه ، وبيّنت هذه الآية أن إيمان من آمن هو بمشيئة الله إيمانه "[194] .

والمرتبة الأخيرة هي مرتبة الخلق ، ففي قوله تعالى : ﴿ اللهُ خَلِقُ كُلِّ شَيءٍ وِهُوَ عَلَى كُلِّ شيءٍ وَكِيلٌ ﴾[195] ، يقول : " فالجملة الأولى (اللهُ خَلِقُ

---

١٨٩ – التحرير والتنوير : ٦/٥٩-٦٠ ، وينظر : ٣٨٦/١ .

١٩٠ – الحج : ٦٨ .

١٩١ – التحرير والتنوير : ٣٣٢/١٧ ، وينظر : ٢٩/٢٠ ، ٢٥٣/٣٠.

١٩٢ – يونس ١٠٠ .

١٩٣ – يونس : ٩٩ .

١٩٤ – التحرير والتنوير :٢٩٤/١١ ، وينظر : ٤١٥/٢٩ .

١٩٥ – الزمر : ٥٩ .

كُلِّ شَيءٍ) أَدْخَلت كل موجود في أنه مخلوق لله تعالى ، فهو ولي التصرف فيه لايخرج من ذلك إلا ذاتُ الله تعالى وصفاته فهي مخصوصة من هذا العموم "[١٩٦] .

وقد أثبت أن الخير والشر مخلوقان لله تعالى ، ولكن لا يجوز إسناد الشر إلى الله تعالى وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[١٩٧] ، فيقول: " والأدلة

الشرعية والعقلية تقتضي أن الأعمال الصالحة والأعمال السيئة سواء في التأثر لإرادة الله تعالى وتعلق قدرته إذا تعلق بشيء ، فليست نسبة آثار الخير إلى الله دون نسبة أثر الشر إليه إلا أدبا مع الخالق لقنه الله عبيده ، ولولا أنها منسوبة في التأثر لإرادة الله تعالى لكانت التفرقة بين أفعال الخير وأفعال الشر في النسبة إلى الله ملحقة باعتقاد المجوس بأن للخير إلها وللشر إلها وذلك باطل لقول النبي: (وتؤمن بالقدر خيره وشره) "[١٩٨] .

وقد قرر أنه لا يجوز الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي والذنوب ، وقد أنكر على المحتجين بالقدر على المعاصي ، ففي قوله تعالى :﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرِكُواْ لَوْ شَاءَ اللهُ مَاأَشْرِكْنَا وَلاَءابَاؤُنَا ﴾[١٩٩] ، فيقول : " فلما قطع الله حجتهم في شأن تحريم ماحرموه ، وقسمة ماقسموه استقصى مابقي لهم من حجة وهي حجة المحجوج المغلوب الذي أعيته المجادلة ولم تبق له حجة

---

١٩٦ – التحرير والتنوير : ٥٤/٢٤ .

١٩٧ – القمر : ٤٩ .

١٩٨ – التحرير والتنوير : ٢١٩/٢٧ ، وينظر : ١٥/٢٥ .

١٩٩ – الأنعام : ١٤٩ .

، إذ يتشبّث بالمعاذير الواهية لترويج ضلاله ، بأن يقول : هذا أمر قضي وقدّر " [٢٠٠] .

وبين منشأ هذه الحجة بقوله : " أنهم يحتجون على النبي صلى الله عليه وسلم بأن ماهم عليه لو لم يكن برضى الله تعالى لصرفهم عنه ولَمَا يسرَّه لهم ، يقولون ذلك في معرض إفحام الرسول عليه الصلاة والسلام وأبطال حكمه عليهم بالضلالة ، وهذه شبهة أهل العقول الأفنة [ضعف الرأي ونقص العقل] الذين لايفرقون بين تصرف الله تعالى بالخَلْق والتقدير وحفظ قوانين الوجود ، وهو التصرف الذي نسميه نحن بالمشيئة وبالإرادة وبين تصرفه بالأمر والنهي ، وهو الذي نسميه بالرضى وبالمحبة " [٢٠١] .

ويستمر موضحا : " فالأول تصرف التكوين والثاني تصرف التكليف ، فهم يحسبون أن تمكنهم من وضع قواعد الشرك ومن التحريم والتحليل ماهو إلا بأن خلق الله فيهم التمكن من ذلك ، فيحسبون أنه حين لم يمسك عنان أفعالهم كان قد رضي بما فعلوه ... ولو كان كما يتوهمون لكان الباطل والحق شيئا واحدا ، وهذا ما لا يفهمه عقل حصيف " [٢٠٢] .

ويلقي اللوم على المسلمين ويخطئهم للتحجج بهذه الشبهة فيقول : " ومن أكبر أخطاء المسلمين في هذا الباب خطأ اللجأ إلى القضاء والقدر في أعذارهم وخطأ التخلق

---

٢٠٠ – التحرير والتنوير : ١٤٦/٨ .

٢٠١ – م . ن : ١٤٦/٨ .

٢٠٢ – م . ن : ١٤٦/٨-١٤٧.

بالتوكل في تقصيرهم وتكاسلهم "[٢٠٣] .

وأخيرًا يرى ابن عاشور أن : " هذه العقيدة التي تقبلها العقول المستنيرة ولا تجافيها الفلسفة الحقة ولأجلها كان المسلمون معصومين من الكفر "[٢٠٤]

.

يصف أحد الباحثين منهج ابن عاشور في البحث العقدي بـــ : " التحليل اللغوي ببيان مختلف أوجه الاستعمال مع الاستدلال بأقوال الشعراء والحكماء يهدف إلى توسيع الآفاق الذهنية ، وعرض مختلف وجهات نظر المخـــالفين ومقارنتها ببعضها ، وإيراد وجهة نظره الخاصة المتطابقة مع منهج التفكير العام لجمهور الأشاعرة وأهل السنة عموما ، واستخدام معطيات العلم الحديث في إيضاح بعض المعاني الدقيقة مثل الروح والملائكة والجن والسنن الكونية ، ومتابعة الأسلوب القرآني في التفصيل والتعليل وإقامة الحجة كما فعل في براهين اثبات الوجود الإلهي وأدلة نفي الشرك وغيرها مما يتعلق بصـــفات الذات وصفات الفعل "[٢٠٥] .

والمطلع على تفسير التحرير والتنوير يلحظ من خلاله أن ابن عاشـــور على معرفة واعية بالمذاهب الإسلامية الأخرى ، فسعة علمه وكثرة إطلاعه وتنوع ثقافته يظهر جليا في مناقشاته ، فهو يتميز بأدب جم مع العلماء الذين يخالفونه الرأي ، ولا ينتصر لعقيدته ومذهبه تعصب مجحف بل يدافع عنهما بالدليل والحجة ، مما أضفى على أبحاثه العقدية نضجا فكريا ومراساً عقليا ،

---

٢٠٣ – التحرير والتنوير : ٢١٣/٢٢ .

٢٠٤ – أصول النظام الاجتماعي في الاسلام : ص٥٠ .

٢٠٥ – التجديد في التفسير من خلال التحرير والتنوير للشيخ محمد الطـــاهر ابـــن عاشور ، جمال الديماسي ، تونس ، أطروحة دكتوراة ١٩٩٣-١٩٩٤م : ص ٢٧٤.

وقدرة جدلية في إثبات مايعتقده في إطار الشرع واللغة ، كما أنه لم يتوسع في مجال الإلهيات والسمعيات كما فعل قدماء المتكلمين ، وحاول إبراز أثر العقيدة في حياة الفرد في بعض المسائل .

مراجع البحث

١- القرآن الكريم برواية قالون عن نافع .
٢- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ، محمد الطاهر ابن عاشور ، تونس ، لشركة التونسية للتوزيع ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٧٧م .
٣- أليس الصبح بقريب ، التعليم العربي الاسلامي دراسة تاريخية وآراء إصلاحية ، محمد الطاهر ابن عاشور ، ط٢ ، ١٩٨٨م .
٤- الإيمان ، ابن تيمية ، خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني ، يسروت ، المكتب الإسلامي ، ط ١٤٠٦هـ : ص٣٥٠-٣٥١ .
٥- تاريخ بغداد ، الحافظ أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، بيروت ، دار الكتاب العربي
٦- التحرير والتنوير ، محمد الطاهر ابن عاشور ، تونس ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤م .
٧- لتجديد في التفسير من خلال التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ، جمال الديماسي ، تونس ، أطروحة دكتوراة ، ١٩٩٤م .
٨- تراجم التونسيين ، محمد محفوظ ، بيروت دار الغرب الإسلامي ، ط١ ، ١٩٨٤م.

٩- التفسير والمقاصد عند الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، الصبحي بن مسعود العتيق ، ، تونس ، دار السنابل للثقافة والعلوم ، ط١ ، ١٩٨٩م.

١٠- سنن ابن ماجة ، أبو عبد الله بن يزيد القزويني ، حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وحديثه محمد فؤاد عبد الباقي ، تركيا ، المكتبة الإسلامية.

١١- سنن أبوداود، أبوداود سليمان بن الأشعث السجستاني ، ظبط أحاديثه وعلق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد ، تركيا ، المكتبة الإسلامية .

١٢- سنن الترمذي ، أبوعيسى محمد بن عيسى الترمذي ، أشرف على التعليق والطبع عزت عبيد دعاس ، تركيا ، المكتبة الإسلامية

١٣- سير أعلام النبلاء ، محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق جماعة من العلماء بإشراف شعيب الأرنؤوط ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط٧ .

١٤- شرح العقيدة الطحاوية ، علي بن علي بن أبي العز ، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط٣ ، ١٤١٣هـ

١٥- الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (١٨٧٩-١٩٨٣م) علي الشنوفي ، حوليات الجامعة التونسية ، ع ١٠ ، ١٩٧٣م .

١٦- الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه في تفسيره التحرير والتنوير ، هيا ثامر مفتاح العلي ، الدوحة ، قطر ، دار الثقافة ١٩٩٤م .

١٧- الصحاح ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، ط٣ ، ١٤٠٤هـ بيروت ، دار العلم للملايين .

١٨- صحيح مسلم ، أبوالحسين مسلم بن الحجاج القشيري ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، المكتبة الاسلامية ، تركيا .

١٩- العلامة الشيخ المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات ، محمد بن عبدالرحمن المغـراوي ، (التفاسير الخلفية / الأشاعرة : محمود حجازي) ، بيروت مؤسسة الرسالة ، دار القرآن ، ط١ ، ٢٠٠٠م .

٢٠- القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، طبعة مرقمة مصححة .

٢١- كبرى اليقينيات الكونية ، محمد سعيد البوطي ، دار الفكر ، ١٣٩٤هـ ص: ٨١ .

٢٢-كشف المغطأ من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ ، محمد الطاهر ابن عاشور نشر الشركة التونسية للتوزيع والشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر ، ١٩٧٦م .

٢٣- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور ، تحقيق نخبة من العاملين بدر المعارف ، القاهرة .

٢٤- معجم المفسرين من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر ، عادل نويهض ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ، ط١ ، ١٩٨٤م : ٥٤١/٢.

٢٥- المواقف في علم الكلام ، عبد الرحمن بن أحمد الإيجي القاهرة مكتبة المتنبي .

٢٦- موقف الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور من الأشعرية ، حمودة السعفي ، (محمد الطاهر ابن عاشور وإسهامه في تجديد الفكر الديني) ، تونس ، وزارة الشؤون الدينية سلسلة آفاق إسلامية ، ط١ ، ١٩٩٦م.

٢٧- نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر ابن عاشور ، إسماعيل الحسني ، الولايات المتحدة الأمريكية ، فيرجينيا ، المعهد العالي للفكر الإسلامي ، ط١ ، ١٩٩٥م

٢٨- النهاية في غريب الحديث ، مجدالدين المبارك بن محمد الجزري إبن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ، بيروت ، المكتبة العلمية .